

مآوي مسبقة الصنع أم حرة الصنع؟

إريت كاتز

تمثل الأشكال المعمارية لمآوي الطوارئ وطرق بنائها دوراً جوهرياً في تمكين سكانها من التعامل مع تهجيرهم، وربما تمنحهم الشعور كما لو أنهم في بيتهم ولو مؤقتاً.

تنطوي الحاجة الإنسانية للإقامة مهما قصرت مدتها على شكل من أشكال الشعور، بأن المرء في بيته، ذلك المكان الذي نشعر أنه يبادلنا الانتماء. لكن هذا الشعور يُحطّمه التهجير القسري. ففي البداية، تحطّمه الحاجة الملحة لترك البيت والديار وما يرافق ذلك من خوف بأن ما خلفه المهجر وراءه سوف يتغير إلى الأبد. ثمّ يُحطّم الشعور ذاته ثانية بفعل الغموض الذي يلف مستقبل المآوي المؤقتة الممتدة على طول طريق الهجرة. وفي موقف مضطرب كهذا، غالباً ما يُختزل معنى المآوي إلى وظيفته الأساسية في توفير الحماية المادية التي تغطي على أدواره الأكثر تعقيداً المتمثلة في تحقيق الأمن والانتماء. وتعجز مآوي الطوارئ عن تعويض هذا التمزق والشكوك المتعددة الطاغية على

حياة المهجرين القسريين مهما بلغ تأثير الاختلافات المعمارية لتلك المآوي وفضاءاتها المتميزة على ساكنيها. ويمكن تقسيم الأنواع المتعددة لمآوي الطوارئ على العموم ضمن فئتين رئيسيتين ترتبطان بمختلف الفاعلين وتنشأن نماذج متباينة من ناحية المكان. النوع الأول يُعرف بالمآوي 'مُسبّق الصنع' وهو مصنوع من المواد المصنّعة ويمكن نقله وتجميعه في الموقع المخصص بسرعة وسهولة. أما النوع الثاني فينبه المهجّرون بأنفسهم باستخدام مواد وأساليب البناء المتاحة وهذا ما يمكن أن يعرف بالمآوي 'حُرّ الصنع'، وليس لهذا النوع من المآوي تصميم ومواصفات محددة وإنما يُبنى بالاعتماد على مهارات المهاجرين الارتجالية والموارد المتاحة.

طابش/ريابر ٢٠١٧

www.fmreview.org/ar/shelter

هائلاً من حيث التصميم، تميل كلها للاستجابة إلى أسس المتطلبات المعمارية. ومن هذه المتطلبات إيواء أجساد عدد محدد من الأشخاص في مختلف الظروف الجوية لمدة زمنية مؤقتة، ويجب أن تكون رخيصة إلى حد ما، ويسهل نقلها إلى أجزاء العالم المختلفة. ومن أجل هذه الأسباب صُممت هذه المأوي كمعدّات مسبقة الصنع يمكن للعمالة غير الماهرة أن تنصبها بسرعة.

تأتي المأوي مسبقة الصنع في بعض الأحيان على أحدث ما توصلت إليه تكنولوجيا البناء، لكنّ المأخذ عليها أنّها تُصمّم لتلبية الحاجات العامة في أماكن غير محددة ولأناس غير محددين. ومما يؤخذ على هذا النوع من المأوي أيضاً أن المواد المصنوعة منه تناسب ظروفًا مناخية معينة أكثر من غيرها كما أن طريقة بنائها تمنع من تعديلها لاحقاً لتسهيل استخدامها أو لتلبية حاجات أو عادات معينة. وإضافة لذلك، تنتشر المأوي بأعداد ضخمة في الموقع وغالباً ما تكون ضمن شبكة يسهل إنشاؤها والرقابة عليها وإدارتها وعادة ما تُنتج فضاءات مكررة ضعيفة الجودة لتلبية غرض محدد

وعادة ما تهتم النقاشات المعمارية بالعلاقة بين شكل المأوى ووظيفته. ومع ذلك، لا تقتصر أهمية تحديد هذين النوعين من المأوي على فهم الخصائص المعمارية الواضحة التي يتميز بها كلا النوعين فقط، بل تضم أيضاً تحديد العلاقة بين أسلوب السكن بهما وطريقة إنتاجهما لما لذلك من تأثيرات مهمة على حياة الناس.

المأوى مسبق الصنع

يعود تاريخ المأوى مسبق الصنع إلى فترة الحداثة المبكرة حينما كانت الخيام والأكواخ المصنعة تُستخدم بسبب التوسع الاستعماري والانتشار العسكري السريع. وفي الآونة الأخيرة، نُقلت الأكواخ الخشبية والقماشية والفولاذية حول العالم لإيواء الجنود أو لإعادة توطين السكان المدنيين، ثم اعتمدت الهيئات الإنسانية هذه الطريقة لاحقاً لإنشاء أول مخيمات المهجرين. وما زالت هذه الطريقة مستمرة حتى اليوم مع وجود أنواع أخرى من المأوى مسبقة الصنع مثل حاويات الشحن المعاد ترتيبها أو المأوي ضمن حزمة شقق وحدات إسكان اللاجئين¹ وبينما تتنوع هذه المأوي الإنسانية تنوعاً



تتحدى قدرة المهجرين القسرئين على بناء فضاءاتهم الخاصة القواعد التي تحكمهم وأحياناً تغييرها، وذلك لأنها تمكّنهم وتسمح لهم البدء بإعادة تأسيس أنفسهم كأشخاص مستقلين بذواتهم ضمن ما استجدّ عليهم من ظروف. وهذه الأماكن الجديدة التي يبنونها لا تميّهم من العوامل الجوية فحسب بل تدعّمهم في استعادة الشعور بالقوة في أماكن لجوئهم الجديدة وتمكّنهم في بعض الحالات من بناء علاقات التضامن مع المجتمعات المضيفة التي تساعد في بناء هذه المساحات والتأثير على بيئاتهم الجديدة في أثناء سعيهم للتغيير.

تطور عمارة مأوى الطوارئ

من الممكن أن تتطور المأوى مسبقة الصنع مرور الوقت إلى مأوى حرة الصنع وذلك من خلال عمليات تهدف إلى إزالة الطابع الرسمي عنها وإدخال العمارة التشاركية عندما يغيرها القاطنون ويضعون يدهم عليها. وتعتمد هذه الاحتمالية على عاملين رئيسيين: أولاً، المأوى مسبقة الصنع بما يشتمل على شكلها والمواد التي صنعت منها، وثانياً، أسلوب الحكم في المخيم وما إذ كان يشجع تخصيص المأوى أم لا. وعادة ما تجمع الطريقة التي تضيفي على المأوى طابعاً غير رسمي بين محاسن المأوى حرة الصنع ومسبقة الصنع إذ تساعد هذه الحقيقة المهندسين المعماريين والمصممين على إعادة التفكير بالمأوى لا كحلول جامدة فحسب وإنما كحلول أكثر مرونة وقابلية للتكيف. كما يمكن للمأوى المنتجة بما يسمح لها الانتشار السريع أن تُصمّم كهيكل تسمح لسكانها تغييرها ونقلها وإعادة تخصيصها بسهولة بما يتوافق مع احتياجاتهم وتفضيلاتهم المحددة. ويمكن لمأوى الطوارئ هذه أن تشكل وحدات يمكنها أن تصبح جزءاً من البيئات الحضرية دائمة التطور أو نواة لمستوطنات دائمة في حالات التهجير المطوّل. وبذلك، يمكنها أن تعمل كنواة لوحدات إسكان مدرّوسة تتطور مرور الوقت لتشكل حتى لو مؤقتاً مساحات شبيهة بالبيت تمنح ساكنيها الهوية والشعور بالانتماء.

إيريت كارتز ik300@cam.ac.uk

معماري وباحث، مركز دراسات النزاعات الحضرية، قسم العمارة، جامعة كامبردج www.urbanconflicts.arct.cam.ac.uk ومدير الدراسات في العمارة وزميل أكاديمي في كلية غيرتون.

١. انظر مقالة في هذا العدد لمارتا تيرني ويوهان كارلسون وكريستيان غوستافسون.

لكنها بذلك تصبح منقّرة لسكانها. أما الفكرة التي تقول إن المأوى مسبقة الصنع يمكن طيها وحزمها كما كانت بالأصل ومن ثمّ إعادة استخدامها كحل مستدام مثالي لمشكلة التهجير فهي فكرة مغلوطة لأنّ هذه المأوى سريعة التضرر بمجرد العيش بها ولا يمكن إعادة استخدامها لاحقاً. كل تلك المصاعب ليست محض صدفة ولكنها أعراض مرافقة لطريقة تصميم تلك المأوى.

وإضافة لذلك، مع أنّ هذه المأوى تفيد في حماية المهجرين من أشعة الشمس والمطر وتوفر الحد الأدنى من الخصوصية لسكانها، فهي في الوقت نفسه تمثل مساحات مفرّغة من الطابع الشخصي وذلك يعني إمكانية إنشائها وإدارتها ومن ثمّ محوها لكنها لا تتيح المجال أمام ساكنيها لتعديلها بما يلزم لجعلهم يشعرون بالمأوى وكأنه بيت لهم ينتمون إليه. وهذه الطبيعة اللاشخصية للمأوى ليست ناتجة بالضرورة عن ضعف التصميم أو الجهل المعماري، لكنها تتناسب مع أهداف الذين يشترطونها وينشرونها دون أن يكون عليهم العيش بها.

المأوى حرّ الصنع

مثل هذه المأوى يصنعها ساكنها بمساعدة الآخرين، ولا تقتصر مزاياها على مجرد أنها توفر بيئات مختلفة، لكنّ نمط ابتكارها يترك أثراً مختلفاً على المهجرين قسراً الذين يعيشون فيها. وتُصنع هذه المأوى من أي مواد أو موارد يمكن العثور عليها قرب الموقع باستخدام طرق بناء مبتكرة في الإنشاء. ويختلف بعضها عن بعض باختلاف صانعيها الذين يبنونها وفقاً لحاجاتهم اليومية وعاداتهم وتقاليدهم.

ومثال ذلك ما المأوى في مخيم 'الغابة' في كاليه، إذ بنت المجتمعات الدارفورية مجتمعات مشابهة للمساكن التقليدية التي اعتادوا عليها في دارفور، بينما أصبحت المأوى التي بناها الأفغانيون في الشارع الرئيسي لمخيم الغابة محلات بقالة ومطاعم وصالونات حلاقة في النهار، ما أتاح للاجئين سبيلاً لكسب الرزق. ولهذا السبب، شاع في مخيم الغابة شعور قوي 'بالانتماء للمكان' حيث كانت المأوى تختلف بأشكالها وأحجامها. وابتكر سكان مخيم الغابة بيئة معمارية تراعي خصوصية الموقع والمجتمع منحت كثيراً من المهجرين القسرئين شعوراً أقل لا شخصية تجاه المكان والهوية والانتماء.